

حَفَرُ بَنِي سَعْدٍ والأحفار الأخرى

عبدالله بن محمد الشايع *

من أحفار العرب المشهورة قديماً «حَفَرُ سَعْدٍ» الذي قال عنه صاحب كتاب «بلاد العرب» إنه من موارد الطريق من «حَجَرُ اليمامة» إلى «البصرة» وحدد مكانه بأنه في الجانب الغربي من الدهناء مواسلاً لها ؛ ولذا كانت أرضه جرعاً سهلة .. ويتتبعي لهذا الطريق اتضح لي أن علماء البلدان في وقتنا الحاضر حددوه في غير مكانه ؛ حيث قالوا : إن حفر بني سعد هو ما يسمى الآن «حَفَرُ العَتَك» .. وقد اعتدت أن أستهل كلامي عن تحقيق أي موضع أرى أن تحقيقه غير صائب بذكر أقوال قدماء علماء المنازل والديار ؛ ليكون لدى القارئ إلمام تام بما قيل عن الموضع المراد تحقيقه ، ولأتمكن على ضوء ما يظهر لي من هذه النصوص ، وما تكشفه الرحلات الميدانية على أرض الواقع من إبداء ما أراه حول تحديد المكان . وفيما يلي ما قرأت من أقوال المتقدمين :

أولاً : قال صاحب كتاب «بلاد العرب» وهو يصف الطريق :

- عمل في رئاسة القضاء قبل أن تصيح وزارة العدل من تاريخ ١٣٧٩هـ .
- عمل في المؤسسة العامة للتأمينات الاجتماعية منذ إنشائها بتاريخ ١٣٩٠هـ .
- صدر له من الكتب : ١ - نظرات في معاجم البلدان ثلاثة أجزاء .
- ٢ - عكاظ الأثر المعروف سماعاً مجهول مكاناً .
- ٣ - مع امرئ العتيبي بين الدخول وحومل .
- ٤ - بين اليمامة وحَجَرُ اليمامة .

(ثم تجوز ذات الرئال حتى تنتهي إلى الحَفَرِ ، حَفَرُ سَعْدٍ ، وهو ماء عذب خفيف بعيد القعر، واسع الأعطان ، وهو في جَرَعَاءَ سَهْلَةٍ لَيِّنَةٍ مواصلة الدهناء . وفيه يقول الشاعر :

وَاللَّهُ لِلنُّومِ بِجَرَعَاءِ الْحَفَرِ أَهْوَنَ مِنْ عَكِمِ الْجُلُودِ بِالسَّحَرِ

يعنى جلود البقر التي يحملونها من اليمن إلى البصرة .
وبين الحَفَرِ وحَجَرٍ يومان وليلتان ، ثم تصدر مُفَوَّزاً من الحفر مستقبلاً الدهناء^(١) .

وقال في صفحة (٢٩٤) وهو يعدد مياه بني ضَبَّة :

(ثم لهم بالحَفَرِ ، حَفَرِ الرَّيَّابِ ، ماء عظيمة . يقال لها الحفيرة لبني الضَّرَّار . ثم تقطع الدهناء ، فهي من ذاك الوجه لضَبَّة .
ثم تصير إلى الجَوَاءِ من ناحية الدُّجْنِيَّتَيْنِ والحفر .
والأحفار ثلاثة :

حفر العَبَّيرِ ، وحفر الرَّيَّابِ ، وحفر سَعْدٍ .

قال : بالحَفَرِ الْأَعْلَى مِنَ الْأَحْفَارِ .. وَالْأَعْلَى هُوَ حَفَرُ سَعْدٍ .

وفي صفحة (٣٤٩) قال صاحب كتاب بلاد العرب ، (ولهم وراء الدهناء بجانب حَفَرِ سَعْدٍ ماء يقال له الْبَيْثُرُ .
قال الراجز :

بِالْبَيْثُرِ وَاللَّهُ ذَنَابُ وَالْحَفَرُ

ولهم ببطن السَّيْدَانِ الْحِمَانِيَّةِ ، وهي ماء لبني حِمَّان .

وَالرُّبَيْعِيَّةُ لبني رُبَيْعِ بْنِ الْحَارِثِ .. وهم مختلطون بالصَّعَابِ ، والصَّعَابُ

(١) بلاد العرب : ص ٣٠٨ .

أسفل من الدَّوِّ والسَّيْدَانِ - وهم وبنو الحَرَمَازِ بن مالك في مياه كثيرة منها مُسَلَّحَةٌ ، والوَقْرَاءُ ، وكَاظِمَةٌ ...) انتهى .

ثانياً : وقال أبو عُبَيْدَةَ معمر بن المثنى التيمي البصري ، وقد أورد قصيدة الفرزدق التي منها هذا البيت :

تَعَسَّفَتِ السَّيْدَانِ تَدَوًّا مُجَاشِعاً وَجُرَّتْ إِلَى قَيْسٍ خَشَاشِ أَجْمَعَا
ويروى : وَبَاتَتْ بِذِي السَّيْدَانِ تَدْعُو مُجَاشِعاً وقد قطعت جنبي خشاخش ..

وقوله خشاخش : جبل من الدهناء إلى الحَفَرِ حَفَرِ بَنِي سَعْدٍ ...)^(١) انتهى .
ثالثاً : قال الهمداني :

(ومن الدهناء الوحيد نقاً منقطع مشرف على حفري سعد ورمل وهبين عن
يمين الحفرين لعامدٍ إلى الصَّمان ...)^(٢) .
رابعاً : قال البكري في معجمه :

(الحَفَرُ : بفتح أوله وثانيه ، وبالراء المهملة : موضع بالبصرة . وهو حَفَرُ
أبي موسى ، بين قَلْجٍ وقُلَيْجٍ ، وهو على خمس مراحل من البصرة .
حَفَرُ بَنِي الْأَدْرَمِ ، على مثل لفظه : ماء محدد في رسم ضرية .
وفي شعر ذي الرُّمَّة : الحَفَرُ : موضعان ، حفر بني سَعْدٍ ، وحَفَرُ الرِّيَابِ ،
بينهما مسيرة ليلة ، قال ذو الرُّمَّة :

غَرَاءُ أَنْسَةً تَبْدُو بِمَعْقَلَةٍ إِلَى سُوَيْفَةٍ حَتَّى تَحْفَرَ الْحَفَرَا

(١) كتاب النقاظ : ص ٨٣٢/٢ .

(٢) صفة جزيرة العرب : ص ٢٩٨

وقال عُمَارُهُ : الحَفَرُ والمُرُوت : منازل التيمم من بني تميم (١) .
خامساً : تكلم ياقوت الحموي في معجمه عن الحَفَرِ والأحفار . وسأورد
كلامه بطوله لما فيه من فائدة ؛ حيث أورد الأقوال عن الأحفار بما فيها حفر
سعد ؛ حيث قال :

(حَفَرُ : بفتحتين ؛ وهو في اللغة التراب الذي يستخرج من الحُفْرة ، وهو
مثل الهدَم ، وقيل : الحَفَرُ المكان الذي حُفِرَ كخندق أو بئر ؛ وينشد :

قالوا انتهينا وهذا الخندق الحفر

والبئر إذا وُسِّعت فوق قدرها سميت حفيراً وحَفَرًا وحفيرة .

حَفَرُ أَبِي موسى الأشعري ، قال أبو منصور :

الأحفار المعروفة في بلاد العرب ثلاثة : حَفَرُ أَبِي موسى ، وهي ركايا
أحفرها أبو موسى الأشعري على جادة البصرة إلى مكة ، وقد نزلت بها
واستقيت من ركاياها ، وهي بين ماوية والمنجشانية ، بعيدة الأرشية ، يستقى
منها بالسانية ، وماؤها عذب ، وركايا الحفر مستوية ، ثم ذكر حفر سعد .

وقال أبو عبيد السكوني : حفر أَبِي موسى مياه عذبة على طريق البصرة
إلى النجاج بعد الرقمتين وبعده الشجي لمن يقصد البصرة ، وبين الحفر والشجي
عشرة فراسخ ، ولما أراد أبو موسى الأشعري حفر ركايا الحَفَرِ قال :

دلوني على موضع بئر يقطع بها هذه الفلاة ، قالوا هوبجة تنبت الأرطى
بين فُلَجٍ وفُلَيْجٍ ، فحفر الحَفَرُ ، وهو حَفَرُ أَبُو موسى ، بينه وبين البصرة خمس
ليال ؛ قال النُّضَرُ : والهَوْبَجَةُ أن تحفر في مناقع الماء ثماداً يسيلون الماء إليها
فتمتلئ فيشربون منها .

(١) معجم ما استعجم : ص ٤٥٧ .

حَفَرُ الرَّبَابِ : ماءٌ بالدَّهْناءِ من منازل تيم بن مُرَّة ؛ والحَفَرُ غير مضاف إلى شيءٍ علمته : من منازل أبي بكر بن كلاب ؛ عن أبي زياد .

حَفَرُ السَّبِيْع : بفتح السين وكسر الباء الموحدة ؛ والسبيع : قبيلة ، وهو السبيع بن صَعْب بن معاوية بن كثير بن مالك بن خُشم بن حاشد بن خَيَّوان بن نوف بن همدان ، ولهم بالكوفة خطة معروفة ؛ قال محمد بن سعد :

حَفَرُ السَّبِيْع : موضع بالكوفة ؛ ينسب إليه أبو داود الحفري ، يروي عن الثوري ، روى عنه أبو بكر بن أبي شيبة ، مات سنة ٢٠٣ وقيل ٢٠٦ .

حَفَرُ سَعْدٍ : منسوب إلى سعد بن زيد مناة بن تميم ؛ وهو بحذاء العَرَمَةِ ووراء الدَّهْناءِ ، يستقى منه بالسانية عند جبل من جبال الدَّهْناءِ يقال له الحاضر ؛ عن الأزهري .

حفر السُّوبان : بضم السين المهملة ، وسكون الواو ، والباء موحدة ، يذكر في موضعه ، إن شاء الله تعالى ؛ قال :

أَفِي حَفَرِ السُّوبَانِ أَصْبَحَ قَوْمُنَا عَلَيْنَا غَضَاباً كُلُّهُمْ يَتَحَرَّقُ

حفر السَّيْدَانِ : بالكسر ، يذكر في موضعه إن شاء الله تعالى ؛ قال السمهري اللصُّ عن السُّكْري :

بَكَيْتَ وَمَا يَبْكِيكَ مِنْ رَسْمِ مَنْزِلٍ عَلَى حَفْرِ السَّيْدَانِ أَصْبَحَ خَالِيَا

خَلَا لِلرَّيَاحِ الرَّاسِيَّاتِ تَغْيِيرَتِ مَعَارِفِهِ إِلَّا ثَلَاثاً رَوَاسِيَا

حَفَرُ ضَبَّةٍ : وهو ضبة بن أَدَّ بن طابخة بن إلياس بن مضر ؛ وهي ركايا

بنواحي الشواجن بعيدة القعر عذبة المياه^(١) انتهى ما أورده ياقوت .

(١) معجم البلدان : ص ٢٧٥/٢ - ٢٧٦ .

كما ذكر ياقوت الأحفار في كتابه «المشترك» تحت باب «حَفَرٌ ثمانية مواضع» وما قاله هناك لا يختلف عن ما جاء في المعجم .

وفيه قال عن حفر سعد : «الرابع حفر سَعْدٍ منسوب إلى سعد بن زَيْدِ مناة بن تميم وهو بحذاء العَرَمَةِ ووراء الدهناء يستقى منه بالسانية عند جبل من جبال [رَمْل] الدهناء عن أبي منصور [هو الأزهري] وقال الحفصي : حفر سعد ببطن السيدان قرب الدهناء» ^(١) انتهى .

وقفة عند بعض العبارات الواردة في هذه النصوص :

بما أن أقوال متقدمي علماء البلدان هي التي يعول عليها أي باحث يريد الوصول إلى تحقيق أي مكان بكل دقة ؛ فإنه لا بد من الوقوف عند بعض العبارات الواردة بين ثنايا هذه النصوص ، وبخاصة ما قد يبدو من ظاهرها التعارض مع نص آخر ؛ لذا أحببت أن أتكلم عن هذه العبارات وأناقشها حتى لا تكون عائقاً بيننا وبين الوصول إلى الموضع المراد تحقيقه فأقول :

١ - قال صاحب كتاب «بلاد العرب» عن «حفر بني سعد» بأنه الحَفَرُ

الأعلى .

وهذه الصفة التي أطلقها عليه تدل على أن حفر بني سعد هو الغربي من الأحفار ؛ بينما واقع الأمر بخلاف هذا ؛ لا سيما وأن هذا القول يتعارض مع ما قال الفرزدق :

أَتَصْرِفُ أَجْمَالَ النُّوَى شَاجِنِيَّةً أَمْ الْحَفَرُ الْأَعْلَى بِقَلْجٍ مَصِيرُهَا

هنا ذكر الفرزدق أن الحَفَرُ الْأَعْلَى بِقَلْجٍ ، فكيف المخرج من هذا التناقض في القول ؟ أقول : لم يفت شيخنا حمد الجاسر الوقوف عند هذا وهو يتكلم عن

(١) المشترك وضعاً والمفترق صقلاً : ص ١٣٩ .

الحَفَرُ والأحفار في كتابه «معجم المنطقة الشرقية» ؛ فبعد أن أورد أقوال القدماء ومحاورته لها قال حول ما جاء في بيت الفرزدق :

(مفهوم هذا البيت أن المقصود الحفر الواقع في وادي «فَلَج» وهو حفر أبي موسى الواقع في ذلك الوادي المعروف الآن باسم «الباطن» . ولكن جاء في كتاب «بدال العرب» ما نصه :

«بالحفر الأعلى من الأحفار .. والأعلى هو حَفَرُ بني سَعْد . ا هـ» ولعل كلمة «الأعلى» صفة نسبية تختلف باختلاف القائل ؛ فالفرزدق وصف حفر فلج بها لوقوعها في أعلى بلاده ، والراجز كذلك . ^(١) انتهى كلامه .

أقول : أصاب شيخنا حمد في تعليقه هذا ؛ إذ يبدو أن الفرزدق جعل «حفر أبي موسى» (حفر الباطن) هو الأعلى نسبة إلى كونه أعلى الأحفار الواقعة في الشمال وهي :

حَفَرُ السَّبِيْع في الكوفة ، وحَفَرُ السُّوبان ، وحفر السَّيْدان .

أما صاحب كتاب «بلاد العرب» فجعل «حَفَرُ بني سَعْدٍ» هو أعلاها لأنه أبعد الأحفار جهة الجنوب للمتجه من البصرة إلى اليمامة وحَجَرُها .

٢ - في النصوص التي أوردتها عن ياقوت الحموي، قال عن «حَفَرِ الرِّبَاب» إنه ماء بالدهناء من منازل تيم بن مرة .

ومن المعروف أنه ليس في رمال الدهناء من المياه الأعداد شيئ ، وقد علق الشيخ حمد الجاسر على قول ياقوت عن «الحَفِير» بأنه ماء بالدهناء لبني سعد بن زيد مناة عليه نخیلات لهم . علق بقوله :

(١) معجم المنطقة الشرقية : ص ٥٢٤/٢ .

(معروف أن الدهناء التي هي الرمال لا ماء فيها ولعله بقرب الدهناء غربها في نواحي العرمة ...) ^(١) .

٣ - في نص من النصوص التي أوردها ياقوت الحموي في كتابه المشترك

قال عن حفر بني سعد :

«وقال الحفصي : حَفَرُ سَعْدٍ ببطن السَّيْدَانِ قرب الدهناء» .

هذا القول توقف عنده شيخنا حمد الجاسر ؛ عندما أورد أقوال المتقدمين

عن الحفر والأحفار ، حيث قال عنه في معرض كلامه عن «حَفَرِ سَعْدٍ» :

(...) ولم أره ذكر هذا في «معجم البلدان» وأخشى أن يكون في عبارة

كتاب «المشترك» نقصاً ؛ إذ النصوص التي بين أيدينا قد حددت حفر بني

سعد، وأنه يقع غرب الدهناء، بعيداً عن السَّيْدَانِ وبنو سعد هم الفرع المشهور

من بني تميم وكانت بلادهم تمتد من يبرين جنوباً حتى السيدان شمالاً^(٢) انتهى .

وإضافة إلى ما قاله الشيخ حمد أقول :

قد يكون من قال : «إن حفر بني سعد ببطن السيدان قرب الدهناء» ؛ فهم

أن «السيدان» قريب من «خشاخش» الذي هو جبل من جبال الدهناء قريب من

حفر سعد ؛ من قول جرير :

تَعَسَّقَتِ السَّيْدَانُ تَدْعُو مَجَاشِعاً وَجُرَّتْ إِلَى قَيْسٍ خَشَاخِشَ أَجْمَعَا

ويروى :

وباتت بذئ السيدان تدعو مجاشعاً وقد قَطَعَتْ جَنْبِيْ خَشَاخِشَ

(١) معجم المنطقة الشرقية : ص ٥٢٦/٢ .

(٢) معجم المنطقة الشرقية : ص ٥٢٤/٢ .

وقوله خشاخش جَبَلٌ^(١) من الدهناء إلى الحفر حَفَرُ بني سعد. ويروى وقد جررت^(٢).
ومعروف بَعْدُ «السَّيْدَان» عن هذا الجَبَل من جبال الدهناء المسمى خشاخش.
وحتى نتعرف على «حفر بني سعد» وهو ما نود تحقيقه هنا وتحديد مكانه
الصحيح ؛ فإنه لا بد من إلقاء نظرة عابرة على ما قيل عن الأحفار التي هو
منها ولعله أشهرها .

الأحفار :

أحفار العرب كثيرة وقد عُدَّ منها ياقوت الحموي في كتابه المشترك ثمانية هي:

- ١ - حَفَرُ الرَّبَاب .
 - ٢ - حفر من مياه أبي بكر بن كلاب .
 - ٣ - حَفَرُ السَّبِيْع ، موضع بالكوفة .
 - ٤ - حَفَرُ سَعْد .
 - ٥ - حفر السُّوبَان .
 - ٦ - حفر السَّيْدَان ، موضع وراء كاظمة .
 - ٧ - حَفَرُ ضَبَّة ، وهي ركايا بناحية الشواجن .
 - ٨ - حفر أبي موسى وهو حفر بني العنبر .
- هذه الأحفار معروفة الجهات التي تقع فيها ؛ إلا أنني أرى أنه خفي على
علماء عصرنا تحديد مكان «حَفَرُ بني سعد» حيث اختلط الأمر بينه وبين «حَفَرُ
الرَّبَاب» وهذا ما سأركز عليه القول عند مناقشة أقوالهم فيما يلي :

(١) يكثر المتقدمون من تسمية الجبل من جبال الدهناء باسم جبل ، ويبدو أن هذا ناتج من تصحيف
النساخ .

(٢) النقائض : ص ٨٣٢ .

تحديد حفر بني سعد عند المعاصرين :

أولاً : علق الشيخ حمد الجاسر على قول صاحب كتاب «بلاد العرب» وهو يصف الطريق من حَجْرٍ إلى البصرة «ثم تجوز ذات الرئال حتى تنتهي إلى الحَفَرِ حَفَرِ سَعْدٍ» علق ذيل الصفحة بقوله عن حفر سعد :

(لا يزال معروفاً ، ويضاف إلى العرمة لقربه منها ، وهو في مريخ الدهناء ؛ أي في جانبها السهل المنبسط القريب من العرمة ، ويقع جنوب وادي العتك ، عتك العرمة في واد يدعى الطَّيْرِي ، ويبعد عن عتك العرمة بما يقارب ١٥ كيلاً^(١) ووادي الطيري يصب في روضة التنهات^(٢) .

وقال وهو يتكلم عن «حضار» .

(... ولا أستبعد أن يكون «حضار» تحريف الحَاضِر وهو أول جبال الدهناء الموالي لليمامة ، شرق العرمة ، بقرب حفر العتك «حفر بني سعد»^(٣) انتهى كلامه .

ثانياً : رأي الأستاذ عبدالله بن خميس :

قال وهو يصف الطريق من «حجر اليمامة» المتجة إلى «البصرة» :
(... بعد هذا المجمع يجتاز «الطوقي» جاعلاً وادي الطيري وروافده يساره ، آخذاً في منبسط فسيح جداً يقال له «أم الحيران» ... وبعد هذا المنبسط يترك أرضاً متداخلة ذات أجارع وخمائل تسمى «الحاوية» يتركها يمينه ليصل إلى «حَفَرِ بَنِي سَعْدٍ» الذي ذكره في مسار طريقه هذا .

(١) آبار الحفر لا تبعد عن بلدة حفر العتك أكثر من كيل واحد .

(٢) بلاد العرب : ص ٣٠٨ .

(٣) معجم المنطقة الشرقية : ص ٥١٢/٢ .

هذا وصف دقيق لاتجاه هذا الطريق الذي وصفه في «بلاد العرب» وما أرى هذه الأعلام التي وردت فيه وقد انطمست أسماؤها الآن إلا ما ذكرته فأرجو أن يعتمد هذا التحقيق ، وأن لا يكون للظنون والتخرصات سبيل إلى غيره ^(١) انتهى .

وقال أيضاً عن «الحَفَر» :

(... وحفر سعد بني الآن فيه وأصبح قرية ، وكان منهلاً من أكبر المناهل في المنطقة ، ... ويسمى هذا الحفر الآن «حَفَر العَتَك» وهو يبعد عن الرياض شمالاً حوالي مائة وخمسين كيلاً ... وعمق منهل الحفر حوالي خمسة وعشرين باعاً ، وعدد آباره عشر ، وتحتة بئر واحدة ... ذكرها في كتاب «بلاد العرب» قال : ولهم - لبني مالك بن سعد - وراء الدهناء بجنب حفر سعد ماء يقال له البئر ، قال الراجز :

بالبئر والله ذئاب والحفر ^(٢) انتهى قوله باختصار.

تعليقي على رأي الشيخين :

نتيجة لهذين الرأيين أصبح من المتعارف عليه الآن أن «حفر العتك» هو «حَفَر بني سَعْدٍ قديماً» بينما حفر سعد يبعد عن حفر العتك ؛ فهو في مكان غير هذا . والأوصاف التي وردت بشأنه لا تنطبق على آبار حفر العتك لامن بعيد ولا من قريب ؛ لكون هذه الآبار واقعة في منخفض من الأرض تحيط بها آكام حجرية . ومن يقف على آبار الحفر (حفر العتك) يدرك لأول وهلة أنها ليست هي «حفر بني سعد» لكون هذا الأخير يقع في أرض رملية من أجارع الدهناء .

(١) معجم اليمامة : ص ١٤٨/٢ .

(٢) معجم اليمامة ٣٣٣/١ .

وللشيخ حمد الجاسر رأي آخر مغاير لرأيه هذا سأذكره عند الكلام عن «حَفَرُ الرِّبَابِ» أما أستاذنا عبدالله بن خميس فرأيه يحمل الجزم على أن حفر العتك هو حفر بني سعد قديماً . وأستميحه عذراً بعدم اعتماد تحقيقه الذي توصل إليه ؛ لأن ما سأقوله حول تحقيق «حَفَرُ بَنِي سَعْدِ» لم يكن ضرباً من الظن أو التخرص ، وإنما جاء بعد ذرع جبل «العَرْمَة» ذهاباً وإياباً عدة مرات باحثاً عن المسار الصحيح لهذا الطريق الذي وصف لنا مساره الأستاذ عبدالله وصفاً غير صائب ، ومع الإلحاح والإصرار كشفت لي «العَرْمَة» عن خباياها فتتبعت أعلام الطريق من خلال فجاجها . ومن ضمن ما كشفت لي عنه ماء «الرَّدَاع» الذي ورد ذكره في وصف الطريق ، وقد أوقفت سيارتي على طَوْبِهِ كما فعلت ناقة عنترة بن شداد حينما قال في معلقته :

شَرَبْتُ بِمَاءِ الدُّحْرُضَيْنِ فَأَصْبَحْتُ زَوْرَاءَ تَنْضُرٍ عَنْ حِيَاضِ الدِّيْلَمِ
بَرَكَتُ عَلَى مَاءِ الرَّدَاعِ كَأَنَّمَا بَرَكَتُ عَلَى قَصَبٍ أَجَشٍّ مُهَشَّمٍ

والذي يبدو لي أن الأستاذ عبدالله وقع في مصيدة تداخل النصوص الواردة في كتاب «بلاد العرب» ؛ الأمر الذي جعله يسير بالطريق باتجاه الشمال إلى «حفر العتك» بدلاً من الاتجاه الصحيح جهة الشمال الشرقي .

ومع أنني لست معه في انفاذ الطريق هذا الاتجاه ؛ إلا أنه - والحق يقال - كشف لنا الكثير من موارد المياه وكذا الأماكن القديمة الواقعة على ظهر «العَرْمَة» . ويبدو لي أنه لو سلك الطريق الصحيح فقد لا يذكر بعض هذه الأماكن التي أورد أسماءها وجددها لنا بدقة .

وقبل أن أورد تحقيقي لـ «حفر بني سعد» فإنه من الأنسب بعد أن نقلته

من «حفر العتك» أن نتعرف على الاسم القديم لهذا المنهل المشهور .

الاسم القديم لـ «حَفَرِ العَتَك» :

منهل «حفر العتك» من موارد المياه المشهورة التي ورد ذكرها في تاريخ الأحداث التي حصلت في بلادنا في الأزمنة المتأخرة ، وهو لا يعرف إلا بهذا الاسم مع أنه اسم مستحدث ، ومورد قديم مثل هذا لا بد أن اسمه الأول قد طرأ عليه تغيير مثل الكثير من موارد المياه التي تغيرت مسمياتها ومن استعراضي للنصوص القديمة بدا لي أنه هو «حَفَرِ الرِّبَابِ قديماً» فدعونا نستعرض ما قالوه عن هذا الحفر :

حَفَرِ الرِّبَاب :

هذا هو أحد أحفار العرب المشهورة . وفي النصوص التي تقدمت معنا قالوا عنه :

١ - قال صاحب كتاب «بلاد العرب» وهو يعدد مياه «بني ضبة» :
(... ثم لهم بالحَفَر ، حَفَرِ الرِّبَابِ مائة عظيمة يقال لها الحفيرة لبني الضرار) .

٢ - قال أبو عبيد البكري في رسم «الحَفَرِ» من كتابه «معجم ما استعجم» :

(... وفي شعر ذي الرُّمة : الحَفَرُ : موضعان ، حفر بني سعد ، وحَفَرِ الرِّبَابِ ، بينهما مسيرة ليلة ، قال ذو الرُّمة :) - ثم أورد البيتين المتقدمين - .

٣ - قال ياقوت الحموي في رسم «حَفَرِ» :

(... حَفَرِ الرِّبَابِ : ماء بالدهناء من منازل تيم مُرة ...)

وقال عنه في كتابه «المشترك» (حَفَرِ ثمانية مواضع) :

(... الأول : حَفَرِ الرِّبَابِ ؛ ماء لهم بالدهناء من جهة اليمامة) .

التعليق على هذه النصوص :

من قول صاحب كتاب «بلاد العرب» بأن لبني ضبة في حفر الرباب ماء عظيمة يقال لها الحفيرة ؛ يبدو لي أن هذه المائة هي التي يُعَبَّرُ عنها وعن حفر الرباب «الحفرين» .

وسترد معنا هذه التسمية . كما قد يسمون «حَفَرُ بَنِي سَعْدٍ» مع البئر الواقعة بجانبه لبني مالك بن سعد بـ «الحفرين» أيضاً :

- قول البكري : إن بين حفر بني سعد وحفر الرباب مسيرة ليلة . قول فيه نظر ؛ لأن المسافة بين هذين الحفرين قرابة ثمانين كيلاً . وهذه المسافة لا تقطعها الإبل في ليلة واحدة .

- أما عن قول ياقوت الحموي عن «حَفَرِ الرَّبَابِ» بأنه ماء بالدهناء . فنظراً لقرب هذه الحفر من الدهناء قال ما قاله هو أو غيره ؛ مثلما قيل عن ماء «سَلَحٍ» بأنه بالدهناء لبني سعد عليه نخيلات .

وقد علق مؤلف «معجم اليمامة» على هذا القول بقوله : (السَّلَحُ ليس بالدهناء ، وإنما هو في جبل «العَرَمَةِ» بوجهها الغربي ؛ شعب ينحدر من قمة العرمة مغرباً ...) (١) .

وهذا التداخل بين الأحفار هو ما حدا بشيخنا حمد الجاسر أن يعلق على ما أورده «الحازمي» عن الأحفار ؛ حيث قال الشيخ تهميشاً :

(حَفَرُ سَعْدٍ : حدده ياقوت في كتابه «المشترك» نقلاً عن ابن أبي حَفْصَةَ أنه ببطن السَّيْدَانِ . وهذا التحديد يخالف ما هنا ؛ فالسَّيْدَانِ في شرق الجزيرة على مقربة من الكويت ، والعرمة غرب الدهناء ، وأخشى أن يكون وقع خلط

بين حفر بني سعد وبين حفر الرِّباب الوارد في كتاب نصر وفي كتاب «بلاد العرب» - ٢٤٩ - فالعرمة أقرب إلى بلاد الرِّباب منها إلى بلاد بني سعد ، ويعرف الحفر القريب من العرمة الآن باسم حَفَرِ العَتَكِ ، ويظهر أنه حَفَرُ الرِّبابِ لقربه من ديارهم قديماً بمنطقة سدِير^(١) انتهى كلامه .

أقول : ما ذهب إليه الشيخ حمد الجاسر هنا لاشك أنه هو الصواب ، فالخلط بين هذين الحفرين واضح .

وللشيخ أبي عبدالرحمن ابن عقيل الظاهري (عفا الله عنه) بحث عن «حفائر الرِّباب» نشره في مجلة «صدى طويق» في عددها (٦ و ٧) الصادر بتاريخ شهر محرم سنة ١٤١٨ هـ . وهو بحث مفيد جمع فيه كثيراً من النصوص الواردة في أحفار الرباب . ولم يفت الشيخ أن يتوقف عند النصوص التي تكلمت عن حفر الرباب ، وحفر بني سعد ؛ حيث قال :

(قال أبو عبدالرحمن : ومن قرأتي ، ومن بعض مشاهداتي السريعة اتضح لي أن الصمان للرباب وبني ضبة وهو شرقي الدهناء جنوبي وادي الباطن . فمن المحقق أن حفر الرِّباب في هذه المنطقة . ويبقى التحديد بمسيرة ليلة بين الحفرين تقديراً أقل من الواقع .

وببقى تحديد حفر الرِّباب بأنه غرب الدهناء محتاجاً إلى نظر .
وببقى قول ياقوت : «ماء لهم بالدهناء من جهة اليمامة» محل نظر أيضاً...^(٢) إلى آخر ما قال .
أقول :

هذه الوقفات التي وقفها الشيخ (أبو عبدالرحمن) استوقفت غيره ، وهي

(١) كتاب الأماكن للحازمي : ص ٣٦٦/١ و ٣٦٧ .

(٢) بلاد العرب : ص ٣٢٨ .

أقوال جديرة بأن يقف عندها أيُّ باحث . ووقفاته هذه لها ما يبررها ، وهو ما يجزم بشيئ ، وإنما جعلها محل نظر .

آمل أن أكون قد أصبت في ما ألقيته من نظرات في هذه الأقوال فتجد قبولاً لديه ولدى كل من له رغبة في الوصول إلى الحقيقة التائهة بين تضارب النصوص والأقوال قديمها وحديثها .

ويظهر لي كما ظهر للشيخ حمد الجاسر في رأيه الثاني أن ما يسمى الآن بـ «حفر العتكَ» هو «حَفَرُ الرِّبَابِ قديماً» .

ومعلوم أن التداخل بين مياه بني تميم وارد ، ومن الأدلة على هذا ما أورده صاحب كتاب «بلاد العرب» وهو يتكلم عن المناهل التي يمر بها الطريق من «حَجَرِ اليمامة» إلى «الكوفة» حيث قال :

(... فإذا جزت من البَالِدِيَّة وردت ماءً يقال له الغُمَيْم لبني سَعْدٍ ، إن وردته وإلا طويته حتى تجزع بطن واد يقال له «العتك» وهو لبني سعد ، وهو واد يجيء أعلاه من ناحية الفُقْءِ ، ثم يشق حتى ينتهي إلى ناحية الغميم وليس لِسَعْدٍ عن يمينه ولا عن يساره شيءٌ إنما لهم بطن الوادي» ^(١) .

ومن يستعرض النصوص يجد أن أغلب مياههم يتشاركون فيها .

وعلى الرغم من هذا التقدم الذي أحرزناه في الوصول إلى مكان «حفر الرِّبَابِ» إلا أن الأمر يتطلب منا الغوص في بحر النصوص القديمة . هذا البحر الذي أرى أنه متلاطم الأمواج بحيث تقذف بمحقق المواضع هنا وهناك ؛ ولهذا أحببت أن أتعب القارئ معي في التمحك بهذه النصوص عسى أن نحصل منها بما يؤيد ما

(١) بلاد العرب : ص ٣٢٨ .

توصلنا إليه حتى نقول بحق إن «حَفَر الرُّبَاب» هو ما يسمى الآن «حفر العَتَك». قلت في ما مرَّ إن «حفر الرُّبَاب» قد يقرن معه ماء لبني ضبة تسمى «الحفيرة» فيقال عنهما «الحفران». ويبدو لي أن «الحفيرة» هي الواقعة الآن جنوب آبار «حَفَر العتك» على بعد خمسة أكيال فقط ، وما زالت محتفظة باسمها القديم ؛ إلا أن الأوائل ينطقونها بفتح الحاء وكسر الفاء ، أما المتأخرون فينطقونها «الحُفَيْرَة» بضم الحاء وفتح الفاء وتشديد الياء .

ومن قرنهما «الهمداني» بقوله وهو يصف الطريق من الأحساء إلى اليمامة: (ثم تصعد منها قاصداً اليمامة فيكون من عن يمينك خرشيم وهي هضاب وصحراء مطرحة إلى الحفرين وإلى السُّلحين ، والحفران هما حفر الرُّمَّانيتين ، وهن من مياه العرمة) (١) .

وفي هذا النص نجد الهمداني يسمى «حَفَر الرُّبَاب» باسم آخر وهو «حَفَر الرمانتين» بعد أن ضم إليه «الحفيرة» . وهو بلا شك يقصد «حفر الرباب» المسمى في وقتنا الحاضر «حفر العتك» بدليل أنه قرن الحفرين بالسُّلحين . والسُّلحان لا يبعدان كثيراً عن الحفر . وقد عرفهما محقق الكتاب في الهامش بقوله : «يعرفان الآن باسم سَلَح ورُوَيْغِب ؛ منهلان غرب الدهناء» .

وقد ذكر مؤلف «معجم اليمامة» في رسم «سَلَح» قول ياقوت الحموي ، وكذا قول الهمداني المتقدم ، ثم قال عن السلاح :

(السلاح ليس بالدهناء وإنما هو في جبل العرمة بوجهها الغربي ؛ شعب ينحدر من قمة العرمة مغرباً ، وقبل أن يفسخ الجبال يلتقي بشعب «رويبغ» ويذهبان معاً حتى يصبان في روضة نورة في أعلى العتك الأسفل ، وبأعلى

(١) صفة جزيرة العرب : ص ٢٨١ .

السلح آبار ماؤها مقبول تؤخذ باليد عند تكاثر السيول وتغور مع عدمها ...
ويسمى السلح والسلحية وما حولهما «السلحيات» ... انتهى .
فدعونا نتعرف على «حفر الرُّمَّانَتين» من واقع النصوص القديمة التي ورد
فيها ذكر له :

حَفَرُ الرُّمَّانَتين :

قرن الهمداني هذا الحفر بالسلحين : مما يدل على قربه منهما . فماذا قال
عنه غيره من متقدمي علماء البلدان ؟
! قال أبو عُبَيْد البكري :
(الرُّمَّانَتان ، على لفظ تثنية رُمَّانة : موضع في ديار بني قميم قال عَبْدَةُ بن
الطَّيِّب :

قفا نَبِك من ذكرى حَبِيبٍ وَأَطْلَالٍ بذِي الرُّضْمِ فالرُّمَّانَتَيْنِ فَأَوْعَالَ^(١)
وفي رسم «الرُّضْم» قال :

(الرُّضْمُ ... موضع في ديار بني قميم باليمامة . قال عَبْدَةُ بن الطَّيِّب :
قفا نَبِك من ذكرى حَبِيبٍ وَأَطْلَالٍ بذِي الرُّضْمِ فالرُّمَّانَتَيْنِ فَأَوْعَالَ
إلى حيث سبال القِنْعُ من كل رَوْضَةٍ من العَتَكِ حَوَاءِ الْمَذَانِبِ مُحْلَلٍ
والقِنْع : أرض سهلة بين رمل وجبل تنبت الشجر الطوال) انتهى .

٢ - أما ياقوت الحموي فقال عن «الرمانتين» :

(الرُّمَّانَتان : بضم أوله وتشديد ثانيه، في قول عَرْقُل بن الحطيم العكلي :
لَعَمْرُكَ لِلرُّمَّانِ إِلَى بَشاء فحزم الأشيمين إلى صُباح

قال السكري : هذه المواضع دون هَجَر في بلاد سعد ، وكانت قبل لعبد

(١) معجم ما استعجم : ص ٦٧٥ .

القيس ... ورماني أيضاً في بعض الروايات : موضع يعرف برمانتين ، وهما هضبتان في بلاد بني عبس قال :

على الدار بالرمانتين تعوج

كذا قال العمراني^(١) انتهى باختصار .

وفي رسم «أوعال» قال ياقوت :

(أوعال : جمع وعل وهو كبشُ الجبل : اسم لجبال بها بئر عظيمة قديمة ؛

وقيل : إنها هضبة يقال لها ذات أوعال قال امرؤ القيس :

وتَحَسَّبُ لَيْلَى لَا تَزَالُ كَعَهْدِنَا بوادي الحُزَامَى أَوْ عَلَى ذَاتِ أَوْعَالٍ

وقال نصر : أوعال جبل بالحمى يقال له أُمُّ أوعال وذو أوعال ؛ وقيل :

أوعال أُجْبَلُ صغار ، وأم أوعال : هضبة ، ومن قال إنها جبال ينشد قول عمرو ابن الأهتم :

قفا نَبِكْ مِنْ ذَكَرَى حَبِيبٍ وَأَطْلَالٍ بذِي الرُّضْمِ فَالرُّمَانَتَيْنِ فَأَوْعَالٍ^(٢)

كما ذكر في رسم «الجَلَل» أن على جادة القادسية إلى زباله موضع يسمى

«الرمانتين» . وفي رسم «الرُّضْم» قال :

(الرُّضْمُ : بفتح أوله ، وسكون ثانيه ، وأصله في اللغة حجارة تجمع عظام

وترضم بعضها على بعض في الأبينة : وهو موضع على ستة أيام من زباله

بينها وبين الشقوق فيه بركة ، وعلى يمين المصعد منه بركة أخرى للسلطان .

وذات الرضم : من نواحي وادي القرى وتيماء ؛ قال عمرو بن الأهتم :

قفا نبك من ذكرى حبيب وأطلال بذِي الرضْمِ فَالرْمَانَتَيْنِ فَأَوْعَالٍ

(١) معجم البلدان : ص ٦٧/٣ .

(٢) معجم البلدان : ص ٢٨١/١ .

وقال ياقوت في رسم «روضة العنك» قال عمرو بن الأهتم :
 قفا نيك من ذكرى حبيب وأطلال بذى الرُّضْمِ فالرُّمَّانَتَيْنِ فأوعال
 إلى حيث حال الميت في كل رَوْضَةٍ من العنكِ حواء المذانبِ محلّال
 انتهى .

التوفيق بين هذه النصوص :

لقد قَبِضَ الله لحفظ أسماء الأماكن التاريخية والجغرافية علماء أجلاء ؛
 أمثال أبي عُبَيْد البكري، وياقوت الحموي؛ حيث ضمنا معجميهما تلك الأماكن
 مستشعدين بما قيل حولها من شعر ونثر .

ولعل عدم اطلاع ياقوت الحموي على معجم البكري عند تأليفه لمعجم
 البلدان فيه فائدة ؛ حيث لم يتأثر بما قاله البكري فكان جهد أحدهما مكملًا
 للآخر ، فقد يكون أحدهما نهل من منهل غير الذي ورده الثاني ؛ يتضح هذا
 من بعض الاختلاف في المنحى الذي تراءى لكل منهما أنه الصواب . مع ما
 حصل في بعض أسماء المواضع من تصحيف من النساخ . مع أن هذا لا يفوت
 إدراكه على كل باحث فطن . وأمثال على هذا ما جاء في أقوال كل منهما حول
 «الرمانتين» و«الرضم» و«أوعال» .

وهذا الاختلاف في الأقوال لا يؤثر ؛ إذا عرفنا أن كلا منهما لم يكن
 قصده التحقيق للمكان بدقة ، وإنما هدف كل منهما ذكر جميع ما قيل عن
 الموضع من شعر ونثر وتحديد مكانه إذا ظهر له من القول الذي نقله .

أما التحقيق الدقيق للأماكن فهو مسؤولية أبناء كل بلد؛ لكونهم أدرى من
 غيرهم بخفايا أرضهم ومواقعها . وفيما يلي محاولة التوفيق بين هذه الأقوال:

التوفيق بين قول البكري وبين قول الحموي :

البكري يتفق مع قول الهمداني بأن حفر الرمانتين قريب من «العَتَك» ومن «السَّلْحين» (رويغب وما جاوره) . وزادنا البكري إيضاحاً بقوله : إن الرمانتين موضع في ديار بني تميم باليمامة .

أما ياقوت الحموي فكعاده أورد لنا عدداً من الأماكن بهذا المسمى أو قريباً منه وإن تباعدت أماكنها . وأخيراً قال :
«ومن قال إنها جبال أنشد البيت :

قفا نبك من ذكرى حبيب وأطلال بذى الرُّضْم فالرُّمانتين فأوعال
وهو بهذا يوافق البكري ؛ إلا أنه اختلف معه بنسبة البيت إلى عمرو بن الأهتم» بينما البكري نسبه لعبد بن الطبيب .

وما يعيننا هنا هو بيت الشعر سواء كان لهذا أو ذاك . وليس المجال مجال تحقيق من يكون له هذا البيت من الشعر ولأي منهما يعود .

وما يحسن الوقوف عنده هو اختلافهما في البيت الذي بعده وهو :
إلى حيث سال القنع من كل روضة من العتك حواء المذانسب محلال
فصدر هذا البيت عند ياقوت هكذا :

إلى حيث حال الميث في كل روضة .

وجاءت كلمة «العتك» في عجز البيت «العتك» بالنون ، وسمى الروضة «روضة العتك» .

ويبدو لي أن الصحة حسبما جاء عند البكري، وقد تكون الكلمة عند ياقوت مُصَحَّفة. وما أحسب «روضة العتك» إلا ما تسمى الآن «روضة التنهاة» فإن

هذه الروضة واقعة في الأرض السهلة الواقعة بين رمل الدهناء وجبال العرمة ،
والوصف ينطبق عليها .

وحتى نتعرف على «الرمانتين اللتين نسب لهما الحفر ؛ فإنه لابد من
التعرف على «الرَّضْمُ» وعلى «أوعال» فهذه الأماكن الثلاثة أُسْبَلَ الشاعر
عبراته عند تذكره منازل محبوبته فيها .

الرَّضْمُ :

سبق أن أودعت هذا الرِّضْم في مذكرتي العام الماضي ١٤١٩هـ . ولم أكن
أدري أنني سأطرق للكلام عنه ؛ وإنما مروري عليه كان مصادفة ؛ حيث كنت
أتتبع أعلام طريق قديم يمر بالقرب من قرية «أَمْ رَجُوم» الواقعة شمالاً من حفر
العتك . وكنت أحمل معي بيانات تتضمن احداثيات بعض المواضع من إعداد
أحد هواة الرحلات . وقد استرعى انتباهي وجود موضع اسمه «الرضم» حدد
مكانه جنوب شرق «أَمْ رَجُوم» فقلت لعل هذا الرضم الذي ذكره حجارة مجمعة
وأنها من أعلام الطريق الذي أتبعه ؛ لهذا قررت الوقوف على الموقع الذي
حدده ، فاتجهت إليه ، وكان يصحبني في هذه الرحلة الأستاذ سعد السالم .

وقبل أن نصل إلى المكان بكيلين قال الأخ سعد يبدو أن أمامنا فيضة من
الفياض الكبيرة ، فقلت له إذا كان ما نشاهده من بعد أشجار فسنتناول طعام
الإفطار تحت ظلها . ولشد ما دهشنا عندما اقتربنا من المكان حيث أصبح ما
نشاهده حجارة كبيرة لونها أحمر كأنها إبل مُبرَّكة في هذا السهل الرملي
الممتد . والغريب في الأمر أن المنطقة خالية من الجبال ؛ إلا من هذه الصخور
الكبيرة المتفرقة على مساحة تقدر بكيل ونصف الكيل .

كانت أرضها معشبة وتنتشر الخيام بالقرب منها . فقلت لابد أن هذا المكان له اسم قديم تغنى به الشعراء لجمال منظره ، وطيب تربته . هذا الرضم واقع على خط العرض ٣٥ ° ٥ . ٢٦ وخط الطول ٣٨ ° ١٧ . ٤٦ . وعندما قرأت - فيما بعد - قول عبدة بن الطبيب :

قفا نبك من ذكرى حبيب وأطلال
بذي الرضم فالرمانتين فأوعال
لم يخالجنني أدنى شك بأنه يقصد هذا المكان الذي يسترعى انتباه كل من يمر به؛ هذا إلى جانب قربه من الأماكن المذكورة معه في بيتي عبدة بن الطبيب.
أَوْعَالُ :

العرب قديماً وحديثاً يسمون الأماكن بما تشتهر به ؛ فالأماكن التي يشاهدون فيها «الوُعُول» جمع وَعَل ، قد يسمونها «أوعال» أو «ذات أوعال» أو «أم أوعال» أو «وعلة» . وأوعال التي نحن بصدد الكلام عنها واقعة بالقرب من الرمانتين والرضم ، والعتك .

وهذا المكان لا يعرف في وقتنا الحاضر ؛ ولكنني لا أستبعد أن يكون هو ما يسمى الآن «الوعوليات» أو «الوعولي» التي ذكرها مؤلف «معجم اليمامة» وهو يتكلم عن رياض «العتك الأسفل» وما يدفع فيه من أودية حيث قال :
(... ويسيل به روافد من جانبه الشمالي والجنوبي ؛ فمن روافده الجنوبية «رويغب» و«وَعَاوِغ» و«الوُعُولِي» ... - إلى أن قال - :

روضة أبي رُكْبَة : ويسيل بها : «أبوركبة» و«أبورمل» و«الوُعُولِيَّات»^(١)

انتهى كلامه .

(١) معجم اليمامة : ص ١٣٩/٢ .

فهذه «الوعوليات» قد تكون هي «أوعال قديماً الاسم من الجبال إلى الأودية المنحدرة منها . قد يكون القدماء يسمون الجبال وما حولها من مجاري الأودية بـ «أوعال» ومنازلهم تكون على جوانب الأودية والرياض وليست فوق الجبال . والله أعلم بالصواب .

الرَّمَانَتَان :

هاتان الرَّمَانَتَان لا بد أنهما من الأعلام المشهورة في فج العتك ؛ وإلا لَمَا نسب الحفر إليهما . والذي يلفت نظر من يعبر من خلال هذا الفج الذي يتخلل جبل «العَرَمَة» قارتان مقترنتان منفردتان عَمَّا حولهما من الجبال يشاهدهما القادم إلى «حَفَرِ العتك» من جهة الغرب ، كما يشاهدهما القادم من جهة الشرق أيضاً . وهاتان القارتان تسميان الآن «الْحَنَادِر» تقعان على خط العرض ٤٠° ٥١' ٢٥" وخط الطول ٥٠° ٢٣' ٤٦" .

وتبعدان عن آبار الحفر سبعة عشر كيلاً باتجاه الجنوب العربي . والحنادر هذه مشهورة لدى سكان تلك الناحية . شبههما الأوائل برمانتين، وشبههما المتأخرون بالحنادر ، وهي النتوء الواقع خلف أذن البعير . أما عند أهل اللغة فالحنادر : الحَدَقَة ؛ حدقة العين .

وأميل كثيراً إلى أن هاتين القارتين هما «الرمانتان قديماً» المنسوب إليهما ماء الحفر . فيقال «حفر الرمانتين» أو «حفر الرِّباب» .

هذه ثلاثة أماكن تعرفنا عليها قرب «الحفر» ومادمت مسترسلاً في ذكر الأماكن التي يقربنا التعرف عليها فدعونا نستعرض ما عند البلدانيين من أماكن أخرى ورد ذكرها مع «حفر الرباب» .

سُلْمَانَيْنِ :

هذا اسم غريب علينا . أليس كذلك ؟ ذكره ياقوت الحموي بقوله :
«سُلْمَانَان ... اسم موضع عند برقة ... ويروي سُلْمَانَيْنِ ، بكسر النون الأولى
وفتح الثانية ، بلفظ جمع السلامة لسُلْمَان ، وهو الأكثر ، فأما من روى بلفظ
التثنية فقال هما واديان في جبل لَغْنِيْ يقال له سُوَاج ، ومن روى بلفظ جمع
السلامة لسُلْمَان فقال سلمانين واد يصب على الدهناء شمالي الحفر حفر الرباب
بناحية اليمامة بموضع يقال له الهَرَار ، والهرار : قُفٌّ ؛ والقول فيه كالقول في
نصيبين إلا أنا لم نسمع فيه إلا سلمانين بلفظ الجر والنصب^(١) أما أبو عُبَيْد
البكري فذكر «سُلْمَانَيْنِ» بالتثنية حيث قال :

(سُلْمَانَان : على لفظ تثنية الذي قبله إلا أن أوله مضموم :

واد للثيم بين تَهْرَع ، وبين العتك قال جرير :

فلو وجد الحمام كما وجدنا بسلمانين لاكتأب الحمام^(٢)

أقول : قد يكون اسم هذا الوادي «سُلْمَانَيْنِ» على صيغة الجمع ؛ لأن
«سُلْمَانَيْنِ» بالتثنية واديان . وقد ذكر ياقوت أنهما في جبل «سواج» .

والبكري أوردته بلفظ التثنية ثم قال : واد للثيم .

فيبدو لي أن المقصود واد واحد اسم «سُلْمَانَيْنِ» .

لقد حدد ياقوت المكان الذي يجري فيه هذا الوادي فقال : إنه شمال الحَفَر
بموضع يقال له الهَرَارُ ، وقد عَرَفَ الهرار بأنه قُفٌّ .

وأقرب واد تنطبق عليه هذه الأوصاف هو ما يسمى في وقتنا الحاضر

(١) معجم البلدان : ص ٢٣٩/٣ .

(٢) معجم ما استعجم : ص ٧٥١ .

«الشُّوكِي» فوادي الشوكي الذي ينحدر باتجاه «الدهناء» كما ذكر حيث يصب في روضة التَّنْهَات .

ووادي الشوكي من المرباع المشهورة ، وهو من أخصب الأودية كما يقصده المتنزهون إذا جاء الربيع لكثرة نباته وأزاهيره ، وتوفر المياه في مناقعه وْعُدْرُهُ المشهورة .

ولم أقرأ لأحد من معاصرينا أنه ذكر اسمه القديم .
أما «تَبْرَع» هذا المكان الذي قيل إن هذا الوادي بينه وبين «الحفر» فلم أتمكن من التعرف عليه بَعْدُ ؛ مع أن البكري قال عنه :
(تَبْرَع : موضع بين حَفَرِ الرُّيَاب ، وبين ماء يقال له الثَّمَد ، وهو لبني حويزة من التيم ، وهما محددان في موضعهما^(١) .
الثَّمَدُ :

هذا الثَّمَدُ الذي قيل إن تَبْرَع يقع بينه وبين «حَفَرِ الرُّيَاب» من المواضع التي لم تحقق في وقتنا الحاضر . ذكره صاحب كتاب «بلاد العرب» وهو يتكلم عن «الحَقْلَاوَيْن» حيث قال :

(الحقْلَتَان^(٢)) : حَبْرَاوَان فِي بِلَادِ بَنِي ضَبَّةٍ مِنْ سَدَرٍ وَمَنْقَعِ مَاءٍ وَهُمَا فِيمَا بَيْنَ الدُّجْنِيَّتَيْنِ وَالثَّمَدِ ؛ ثَمَدُ بَنِي حَوِيزَةٍ بَطْنِ مِنَ التَّيْمِ^(٣) .

وقال البكري في رسم «الثَّمَد» من كتابه «معجم ما استعجم» :
(الثَّمَدُ : هما ثمدان ؛ فالثمد غير مضاف : ماء لبني حويزة بن التيم قال أُرطاة بن سُهَيْتَة :

(١) معجم ما استعجم : ص ٣٠٢ .

(٢) كتبت «الحقْلَتَان» والتصحيح مما جاء في تعليق محقق الكتاب «الحقْلَتَان» .

(٣) بلاد العرب : ص ٢٩٣ .

عوجا نسلم على أسماء بالثمد من دون أقرن بين القور والجمد
أما ياقوت الحموي فلم يذكر هذا الثمد فيما قرأته من معجمه ، وقد ذكر
في المشترك « (باب الثمد) ثمد في بطن مُلِيْحَة ؛ يقال له روضة الثمد .
وهذا الثمد الواقع في هذه الروضة يبعد كثيراً جهة الشمال عن ثمد بني
حويزة وقد حققت مكانة في كتابي « بين الدخول وحومل » فارجع له إن شئت .
ومتى تعرفنا على « الحقلتين » الواقعتين بين « الدجنيتين » وبين هذا الثمد
أمكننا التعرف على المكان الذي يقع فيه .

الحقلان :

حدّد مكانهما صاحب كتاب « بلاد العرب » حيث قال : إنهما تقعان فيما
بين « الدجنيتين » وبين « الثمد » .

ومعروف أن « الدجنيتين » هما « القيصومة » و« الدُجْنِيَّة » فإذا جمعوا
بينهما قالوا « الدجنيتان » وهذان الماءان يعرفان الآن بـ « القاعية » و« الدجاني »
وهما متجاوران . وقد أصبحت « القيصومة » التي تحول اسمها الآن « القاعية »
إلى بلدة عامرة تقع شمال شرق مدينة « المجمعة » .

وقد ذكر الهمداني إحدى هاتين الخبراوين بقوله :

(... فمن أيمن بطن العتك تمر وتُمر ومبايض وروضة العرقوبة ، ويقابلك
ضاحك وهي نقييل في العرمة يدفع إلى مياسر الدهناء من عن يمين فُلج ،
وبأعلاه الحقلة والثمد ^(١) .

ولا شك عندي بأن « الثمد يقع جنوباً من « القاعية الآن » و« الدجاني »
وهما (الدجنيتان قديماً) وأن « الحقلان » تقعان بينهما .

(١) صفة جزيرة العرب : ص ٢٨٥ .

وأشهر الخبراوات والرياض في هذه الناحية من غربي جبل «العرمة» هما ما يسمى الآن «الحُفْس» ، والحُفَيْسَة» وقد يسميهما البعض «الحفيسات» .
وصفهما مؤلف «معجم اليمامة» بقوله :

(روضتا الحُفْس والحفيسة : من رياض البطين ، وهما عبارة عن خبراوين عميقتين تتجمع فيهما مياه السيول ، وتظل بهما زمناً طويلاً ، وهما تكونا على أثر خسف في حوض جبل العرمة ...^(١) انتهى باختصار .

أقول : إنَّ وصف المتقدمين الخبراوين الحقتين ينطبق تمام الانطباق على هاتين الروضتين الحُفْس والحفيسة .

ولست مع أستاذنا عبدالله بن خميس في فهمه لوصف صاحب كتاب بلاد العرب والهمداني ؛ من أن «الحقلاوين» هما رياض «المجمع» حيث قال في رسم «حقل والحقلة» بعد أن أورد النصوص :

(قلت - القول له - : ما ذكر هنا لا أعرفه ، ولم يبق لهذه الأعلام أسماء حية معروفة الآن ، وإن كان صاحب «بلاد العرب» والهمداني يقصدان رياض المجمع بالبطين تحت الأرطاوية، لكن لم تكن هذه الأسماء موجودة الآن) انتهى .
إذاً «الثمد» الذي نود التعرف عليه يقع جنوباً من «الحقلاوين» (الحُفْس

والحفيسة الآن) .

وبما أن الثمد عند المتقدمين يعني الآبار التي يتوفر ماؤها عند كثرة السيول ، وينقطع عند تأخرها . وهو ما يعرف عند المتأخرين باسم المشاش .
ولوجود ماءين جنوب هاتين الخبراوين ؛ هما آبار «القرْأَشِيَّة» وآبار

«الكُظَيْمَةُ» أجد نفسي أكثر ميلاً إلى أن الثمد قديماً هو آبار «الكُظَيْمَةُ» وقد حدد مكانها ووصفها وصفاً دقيقاً مؤلف «معجم اليمامة» بقوله :

(الكُظَيْمَةُ : بضم الكاف ، وفتح الظاء ، وإسكان الياء ، وفتح الميم ، فهما . من كظم الوادي إذا ضاق مجراه وصار محناباً .

وهكذا «الكظيمة» ينخق عندها وادي «المشقر» وروافده ؛ حينما يفري جبل «مُجَزَلٌ» ليذهب مشرقاً ، ويصب في روضة «الحَفَيْسَةِ» و«مُطْرِبَةٍ» من حضن العرمة . فـ «الكظيمة» في هذا المكظم منه .

وهذا الوادي هو الذي يقبل من مرتفعات جبل «طويق» ماراً بقاعدة «مُنِيخ» (المجمعة) وتحتها «حَرَمَةٌ» مجتازاً ما تحتها من سهول حتى يفري جبل مجزل ويذهب حيث وصفنا دون أودية تلك الجهة .

وهي منهل للهومل من مطير ، وماؤها عذب ، لكنه نزر «مشاش» ، وعدد آبارها ثلاثون بئراً...^(١) انتهى كلامه .

كما قلت فإني أميل إلى أن هذه الآبار هي «الثمد قديماً» وهي واقعة كما قال أستاذنا عبدالله بن خميس في هذا المضيق من جبل «مجزل» وينتهي سيل هذا الوادي التي هي واقعة فيه إلى «الحفيسات» (الحقلاوين قديماً) .

عندما زرت موقع هذه الآبار بتاريخ ١٩/١/١٤٢٠هـ وبصحبتني الأخ محمد الفارس . لم نشاهد من آبار «الكظيمة» الثلاثين سوى أربع آبار . ويبدو أن مياه السيول قد طمرت الكثير من الآبار بسبب إقامة سد ترابي في مضيق الوادي ، وكذا عدم حاجة الناس إلى هذه الآبار في وقتنا الحاضر .

(١) معجم اليمامة : ص ٣٠٧/٢ .

تقع ابار «الكظيمة» على خط العرض ٥٧° ٥٩' ٢٥" وخط الطول ٤٥° ٣٠' ٤٥".

كما تقع خبراء الخفس على خط العرض ٤٥° ١٣' ٢٦" وخط الطول ١٣° ٣٨' ٤٥" أما روضة الخفيسة فتقع على خط العرض ٣٥° ١٢' ٢٦" وخط الطول ٥٧° ٣٩' ٤٥".

وبما أنه طال تجوالنا بين المياه والرياض الواقعة في جبل «العرمة» وما حوله أحب أن أذكر القارئ الكريم بأن ما أطلت الكلام عنه حول تحديد هذه المواضع في سبيل الوصول إلى تحقيق «حَفَرِ الرِّبَابِ» وأنه هو ما يسمى حالياً «حَفَرِ العتك» ليتسنى لنا تحديد المكان الصحيح لحفر بني سعد .

تحقيقي لمكان «حفر بني سعد» :

عندما خلفت جبل «العَرَمَة» وماء «غيلانة» وراء الظهر باتجاه رمال الدهناء ناحية «مدينة رُمَاح» وقرية «المزيرع» لاحظت أن أعلام الطريق تتجه إلى «المزيرع» تاركة «رماح» ذات اليسار .

عند وصولي إلى المزيرع تجولت على ضفاف الوادي الذي ينفرش مجراه جنوب البلدة ، فوقفت على بئر واسعة مطوية بالحجارة المهذبة طياً محكماً .
ولدى مقابلي لرئيس مركز المزيرع الأخ «محمد الأزمع» سألته عن هذه البئر فقال :

لقد عثرنا عليها مندفنة وحفرناها منذ مدة أربعين عاماً ، فوجدناها مطوية. وهي عذبة الماء بعيدة القعر حيث يبلغ عمقها «أربعين باعاً» وقد عثر في أسفلها عند حفرها على حجر من حجارة الطي محفور عليها كتابة .

ويسؤالي له عن هذا الحجر ، قال : لقد بقي عندنا مدة طويلة ثم فقد ؛ لعدم الاهتمام به .

إن أوصاف القدماء لـ «حَفَر بني سعد» ينطبق تمام الانطباق على هذه البئر الواسعة العميقة ؛ لا سيما وقد قادنا مسار الطريق وأعلامه المتتابعة إلى هذا المكان .

وهذه البئر واقعة بجوار البلدة من جهة مطلع الشمس على خط العرض ٤٠° ٣٤' وخط الطول ١٧° ٣٤' ٢٥' وخط الطول ١٧° ١٥' ٤٧' .

ولهذه الأمور مجتمعة أقول :

إن «حَفَر بني سَعْد» هو ما يسمى الآن «المزير» وليس كما قيل «حَفَر العَتَك» حيث تبين لي أن حفر العتك هو «حَفَر الرُّبَاب» .
أرجو أن أكون أصبت فيما حققته ، وما توصلتُ إليه من فك التشابك الحاصل بين الأحفار . وبالله التوفيق .

المراجع

(١) بلاد العرب : الحسن بن عبدالله الأصفهاني ؛ تحقيق حمد الجاسر وصالح العلي .

(٢) صفة جزيرة العرب : الهمداني . تحقيق محمد الحوالي ، إشراف حمد الجاسر . نشر دار اليمامة ، الرياض ١٣٩٧هـ / ١٩٩٧م .

(٣) كتاب الأماكن : الحازمي . تحقيق حمد الجاسر .

- (٤) المشترك وضعاً والمفترق صقلاً : ياقوت الحموي . عالم الكتب . الطبعة الثانية سنة ١٤٠٦ هـ .
- (٥) معجم البلدان : ياقوت الحموي . دار بيروت للطباعة والنشر . طبع سنة ١٤٠٨ هـ / ١٩٨٨ م .
- (٦) معجم ما استعجم : أبو عبيد البكري . تحقيق مصطفى السقا . عالم الكتب - بيروت الطبعة الثانية سنة ١٤٠٣ هـ / ١٩٨٣ م .
- (٧) معجم المنطقة الشرقية : حمد الجاسر . دار اليمامة - الرياض . الطبعة الأولى سنة ١٣٩٩ هـ ١٩٨٦ م .
- (٨) معجم اليمامة : عبدالله بن خميس . الطبعة الثانية . سنة ١٤٠٠ هـ / ١٩٨٠ م .
- (٩) النقائص بين جرير والفرزدق : أبو عبيدة معمر بن المثنى التيمي . دار صادر - بيروت ط مدينة ليدن سنة ١٩٠٥ م .